

ابو الحسن علي بن الحسين الندوي

دور الأمة الإسلامية
في
إنقاذ البشرية و إسماعدها

ملتزم النشر والتوزيع
المجمع الإسلامي العلني
ندوة العلماء، ص. ب: ١١٩، لكهنؤ، الهند

من مطبوعات «المجمع الاسلامى العلمى» - لكناؤ (الهند):

رقم - ٢٥١

الطبعة الاولى

١٩٩٢م - ١٤١٣هـ

قام بالنشر

محمد غياث الدين الندوى

المطبعة الندوية (مؤسسة الصحافة و النشر)

ص ٠ ب ٩٣ - ندوة العلماء ، لكناؤ (الهند)





تعريف بالموضوع

للاستاذ محمد الرابع الحسنى الندوى

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله

و على آله وصحبه .

و بعد !

فهذه محاضرة اسماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى
الندوى ألقاها فى مقر المؤسسة الإسلامية الواقع فى استر
قريب (لندن) ، و هى مؤسسة إسلامية مؤقرة فى إنجلترا
تقوم منذ سنوات بإعداد كتب إسلامية دعوية و بحوث
علمية إسلامية ، و تنشرها لتكون أداة لدعم للفكرة
الإسلامية القويمة فى هذا البلد الأوربى البعيد عن بلاد
الإسلام ، فان كلمة الإسلام كانت غير مسموعة فى البلاد

الغربية إلا نادراً ، فالبلاد كانت متمطشة لسماعها ، من
 يعرفونها معرفة جيدة و يحسنون تقديمها ، و لا يقدر على
 ذلك إلا من يمثل قول الله تعالى : « أدع إلى سبيل ربك
 بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتي هي أحسن ،
 و لقد بدأ يشعر بالحاجة إلى ذلك عديد من أهل العلم
 و الدراسة المسلمين المقيمين في أوروبا و الزائرين لها ،
 و ازداد عدد المسلمين في أوروبا يوماً بعد يوم حتى صاروا
 منتشرين في مختلف مجالات الحياة في هذه البلاد ، فشمروا
 بعضهم عن ساق الجد ، و بدأوا ينشؤون مراكز للتعليم
 الاسلامي و التوعية و الدعوة ، و من هذه المراكز مركز
 المؤسسة الاسلامية في لستر ، و هي مؤسسة كان أنشأها
 نخبة من الشباب الدارسين في أوروبا من الدعاة الاسلاميين ،
 و في مقدمتهم سعادة الدكتور خورشيد أحمد ، و ترعرعت
 هذه المؤسسة و قطعت شوطاً حسناً و أصبح لها مقر مستقل .
 و أنشئ قبل بضعة سنوات مركز للدراسات
 الاسلامية في أكسفورد ، و حصل له الاعتراف و التقدير

من جامعة أكسفورد ، و بدأ يخطو خطوات طيبة على
الخط المناسب المفيد لهذا العمل ، تحت رئاسة سماحة أستاذنا
الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي ، و سماحته يزور
أكسفورد كل عام للحضور في دورة ذلك المركز السنوية ،
و قد زارها هذا العام أيضاً ، و كان موعد الدورة في
١٠ / سبتمبر ، و قد وقع قبله موعد في المؤسسة الإسلامية
بلستر لحفلة الافتتاح لمقرها الجديد و ندوة علمية حول
الدعوة الإسلامية ، و كان سماحة الشيخ مدعواً لهذه الحفلة
و الندوة ، و كان قد وعد بالحضور فيها في الحالة العادية
لصحته ، و ظروف بلاده ، و كان رجال المؤسسة يرجون
حضوره و كان الشيخ يستطيع الجمع بين المواعدين في
رحلة واحدة لأنه لم يكن يفصل بينا إلا خمسة أيام .

ولكن حدث من العوائق ما لم يتيسر معه لسماحة أستاذنا
أن يبادر للسفر إلى بريطانيا فاعتذر عن الحضور في موعد
المؤسسة الإسلامية مع وعد بتلافيه في موعد آخر ، ولذلك
عزم على الحضور في ١٥ / من شهر سبتمبر ، و ذلك بعد

أن ينتهي من دورة المركز الاسلامى فى آكسفورد، لتحقيق
 وعده لزيارة مقر المؤسسة الاسلامية الجديد و التحدث إلى
 الاخوة فيه ، و قد وفى سماحة الشيخ بوعده، و زار المؤسسة
 و ألقى محاضرة فيها حول الدعوة الاسلامية حضرها لقيف
 من أهل العلم و الثقافة من المسلمين القاطنين فى لستر و فيما
 حولها ، و كانت محاضرة قيمة ، و كان موضوعها من
 اختصاص سماحته ، اقتبس له نقطة هامة من الدعوة
 الاسلامية فى العصر المثلثى الأول و هى توجيه القرآن الكريم
 للمسلمين الأولين إلى أن عمل الدعوة واجب لا يليق
 بالمسلمين أن يقصروا فيه و إن كان عددهم قليلا ، فقد
 قال : « إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض و فساد كبير ،
 فحصر سماحة الشيخ خطبته على هذه النقطة ، و قال : إن
 هذه الفئة القليلة من المسلمين الأولين قد كلفت من الله
 تعالى مع ضعفها و ضآلتها أن تقوم بالدعوة ، و هى إن
 قصرت فستقع فتنة و فساد كبير ، فأتم أيها السادة قليلون
 فى هذه البلاد و أن جوها غير متلائم معكم فلكم مشابة

بالجماعة الاسلامية الاولى ، و إنكم إذا لم تؤدوا واجبكم في
هذه البلاد فتكون فتنة في الارض و فساد كبير .
و لقد وقع المحاضرة موقعا مؤثرا ، و كان رئيس
المؤسسة سعادة الدكتور خورشيد أحمد — وهو مؤسس هذه
المؤسسة أيضاً — حاضرا في لاجتماع ، و قد قام بتقديم المحاضر
مع الثناء العاطر عليه ، و بيان أهميته و مكاتته من بين قادة
المسلمين و زعماء فكرهم و أعماله و جهوده للدعوة و الفكر
الاسلامى و أنه اليوم أستاذ الجليل و مربيه ، و الدكتور
خورشيد أحمد مع كونه رئيساً لهذه المؤسسة الاسلامية
شخصية علمية كبيرة ، وله وزن كبير في المجتمع الباكستانى ،
و مكانة بين الساسة و الزعماء في البلاد .

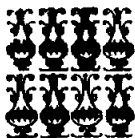
و قد احتفى مدير المؤسسة الدكتور مناظر أحسن
أيضاً بسماحته ، و قدر لحضوره تقديراً كبيراً في مقر المؤسسة
رغم ضعف صحته ، و زحمة ارتباطاته .

لقد كانت المناسبة مناسبة سارة و مفيدة لاجتماع أهل
العلم و الدعوة و لسماحهم محاضرة قيمة مفيدة ، و قد سجلت

المحاضرة ثم نقلها من الكاسيت العزيز جعفر مسعود الندوى
ليمكن نشرها لعموم النفع ، و قد راجعها سماحة المحاضر
الموقر و نقحها .

نرجو من الله تعالى أن ينفع بها ، و يتقبلها و يبارك
في جهود العاملين في مجال الدعوة و التوعية الاسلامية في
كل مكان ، فانه على كل شئ قدير و بالاجابة جدير ،
و صلى الله على نبينا خاتم المرسلين سيدنا و مولانا محمد
و على آله و صحبه أجمعين .

محمد الرابع الحسنى الندوى
أمين المجمع الاسلامى العلمى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دور الأمة الإسلامية

في

إنقاذ البشرية وإسعادها

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على
سيد المرسلين و خاتم النبيين ، محمد و آله و صحبه أجمعين ،
و من تبعهم باحسان و دعا بدعوتهم إلى يوم الدين ،
أما بعد ! .

حضرات الإخوان ، والضيوف الكرام ، والمستمعين
العظام ! إنني أحمد الله تبارك و تعالى على أنه أتاح لي
فرصة أخرى (١) لهذا اللقاء الكريم الحبيب ، و الاجتماع

(١) كانت المحاضرة الأولى في هذا المركز الإسلامي

الواقع في (MARK FIELD LEICESTER)

في ٣ / سبتمبر ١٩٩١ م ، نشرها المركز المذكور

بالإنجليزية بعنوان - DAWAH IN THE WEST-

THE QURANIC PARADIGM.

بهذه المجموعة الطيبة الهادفة السليمة ، المتألّمة لما يعانیه العالم ،
بصفة عامة ، و لما تعانیه هذه القطعة التي كتبت لها القيادة
العالمية ، والتوجيه - لحكمة يعلمها الله - بصفة خاصة ، إنني
سعيد بأن الله سبحانه و تعالى أتاح لي هذه الفرصة
للحديث في هذا المكان الرئيسي الحساس الذي لا يزال له
نفوذ كبير ، والذي لا تزال له مكانة مرموقة واحترام زائد .

إخواني ! و أنا كذلك أحمد الله تبارك و تعالى على
أنني أحدث إليكم أولاً باللغة العربية التي هي لغة القرآن ،
و التي هي لغة الايمان ، و لغة الرسالة المحمدية ، و التي
كانت ولا تزال - إلى أن يرث الله الأرض و من عليها -
لغة ، لا أقول إنها لغة الاسلام الرسمية ، لأنني لا أومن
بالرسميات ، و لكن لغة الاسلام الدينية ، و لغة الاسلام
الايمانية ، و لغة الاسلام العلمية ، و لغة الإسلام
العقلية و الثقافية .

إخواني ! إنني تلميذ صغير من تلاميذ مدرسة القرآن
العامة الخالدة ، و إن الله يشرفني و يكرمني و يمنحني فرصة

القراءة و بعض التدبر في القرآن ، و أشعر بهذا النسب
 المشترك بيننا و بينكم ، النسب العقلي و الايماني ، و أقول
 اعتماداً على ذلك إنكم كلكم تقرؤن القرآن ، و من طبيعة
 الإنسان أنه إذا رأى شيئاً غريباً تملكه الحيرة في بعض
 الأحيان ، و تملكه الدهشة في بعض الأحيان ، و يملكه
 الروع في بعض الأحيان ، و لكن هذه الدهشة تزول
 سريعاً أو على فترة ، و هذه الحيرة تزول كذلك ، و لكني
 أقول لكم بكل صراحة — و قد ألقى الله في روعي أن
 يكون هذا موضوع حديثي اليوم — إنني كلما مررت بهذه
 الآية الكريمة التي هي من آخر آيات سورة الانفال و هي
 « إلا تفعلوه تكن فتنه في الأرض و فساد كبير » (١)
 أنا أتساءل ، كرجل واع ، و كرجل يعيش في هذا العلم ،
 إنني أأحار ، و يملكني العجب ، بل تملكني الدهشة
 و الحيرة ، لمن يقال هذا ؟ و متى يقال هذا ؟ و في أي
 مكان يقال هذا ؟

(١) سورة الانفال : الآية ، ٧٣ .

يقال هذا الحفنة (١) بشرية — إذا قيست إلى العالم المتمدن المعمور ، و إلى النفوس البشرية العائشة الموجودة في ذلك الزمان يعني في سنى الهجرة الأولى — فقد كان المسلمون في تلك الفترة الزمنية ، قطرة أمام البحر الإنساني الزاخر ، كانوا حفنة بشرية فقط ، كانت حول مدينة يثرب ، (المدينة المنورة العزيزة المحترمة التي نفيها بنفوسنا و أرواحنا ، و لكن اسمها القديم يثرب) بل كانت حول الجزيرة العربية إمبراطوريتان واسعتان ممتدتان إلى أقصى العالم ، قد توزعتا العالم - كما يقول المؤرخون الآوريون - العالم المتمدن المعمور ، توزعت إمبراطوريتان ، الإمبراطورية البازنطينية التي خلفت الإمبراطورية الرومية ، و التي كان مقرها قسطنطينية ، و الإمبراطورية الساسانية ، الإمبراطورية الإيرانية ، قد استحوذتا و سيطرتا على العالم المتمدن المعمور ، و كان هذا البحر المدني الحضارى يوج حول الجزيرة كلها ، كانت هنالك حضارات ، و كانت هنالك فلسفات ، و كانت

(١) الحفنة (بفتح الحاء) و الحفنة (بضم الحاء) : ملء الكفين .

هنالك مؤسسات علمية ، أو كانت هنالك - فوج مدينة
و عقلية و ميسابية ، و اقتصادية و عمرانية .

ما نسبة هذه الحفنة البشرية التي كانت قد وجدت
في المدينة المنورة بفضل دخول الاسلام أولا في المدينة ،
و بعد ذلك انتقال عدد قليل من مكة إليها ، و تعرفون
كلّم أن الهجرة ليست بالأمر الهين ، فان الهجرة هي
مغادرة الوطن و الأهل ، و الانتقال من بيّنة إلى بيّنة
أخرى ، إنها تطلب تضحية كبيرة ، و همة عالية ، إنها تطلب
مخاطرة بالمال ، و مخاطرة بالنفس ، و مخاطرة بالأهل .

و قد كان إحصاء المسلمين في المدينة بأمر رسول الله
ﷺ ، فلم يتجاوز عددهم ألفاً و خمس مائة (١٥٠٠) رجل ،
و قد كان ذلك كما يرى بعض أصحاب السير ، عند
الخروج إلى أحد ، و قد كانت غزوة أحد في شوال
سنة ثلاث من الهجرة ، فكان ذلك بعد ما مضى على
الهجرة ثلاثة أعوام ، و جزم بعض علماء السير و شراح
الحديث بأن ذلك كان عند حفر الخندق ، و قد كانت

غزوة الخندق — أو غزوة الأحزاب — في شوال سنة
خمس من الهجرة ، فكان أمد الإحصاء أطول من
الأول (١) .

على كل حال كانوا حفنة بشرية ، كانوا حفنة بشرية
مغمورة في بحر هائج مائج من البشر ، و من الحضارات
و من الثقافات ، و من الألسن و اللغات ، و من المدنات
و الزخارف ، و من المظاهر الخلابة ، يقال لهذه الحفنة
البشرية « إلا تفعلوه ، يعنى إن لم تتألفوا ، و لم تكونوا

(١) جاء في صحيح البخارى ، عن أبى وائل عن حذيفة ،
قال : قال النبي ﷺ : « اكتبوا لى من يلفظ
بالاسلام من الناس ، فكتبنا له ألفاً و خمس مائة
(١٥٠٠) رجل ، و قلنا نخاف و نحن ألف و خمس
مائة ؟ و لقد رأيتنا أبتلينا حتى أن الرجل ليصلى
وحده و هو خائف ، (الجامع الصحيح للبخارى ،
الجزء الأول ، كتاب الجهاد ، باب كتابة
الامام الناس) .

وحدة بشرية مميزة تقوم على العقيدة الممتازة و الهدف الواضح إلى إنقاذ البشرية و إسعادها ، و على نمط خاص من الحياة و القيم و الأقدار الخاصة ، و على التصميم على القيام بالدعوة ، و إن لم تتخذوا الحياة الايمانية الخلقية المثلى شعاركم ، و لم تكونوا نموذجاً فريداً للإنسانية ، و لم تصمموا على نشر الدعوة الإسلامية إلى أقصى الأرض ، و على إخراج البشرية من الظلمات إلى النور ، و من الدمار و الهلاك و الشقاء ، إلى السعادة الأبدية ، « إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض و فساد كبير » .

لمن يقال هذا ؟ و متى يقال هذا ؟ و في أى بيئة و فى أى محيط يقال هذا ؟ و لكن كما يقال « العبرة بالقيمة ، ليست العبرة بالقامة ، فكان هؤلاء المسلمون الذين لا يتجاوز عددهم ألفاً و بضع مآت . هؤلاء كانوا صغيرين فى القامة ، (١) لكنهم كانوا كبيرين فى القيمة ، و العبرة

(١) المراد بالقامة هنا الكمية و العدد الكبير ، و ثروة من الوسائل و الطاقات .

بالقيمة لا بالقامة ، و قد أثبت التاريخ الانسانى المدون ،
 المحفوظ الموثوق به و المعتمد عليه ، أنه دائماً غلبت
 و انتصرت القيمة على القامة ، و انتصرت القيمة الصغيرة
 على القامة الكبيرة ، هذا تاريخ الديانات ، هذا تاريخ
 الحركات الإصلاحية ، هذا تاريخ المذنبات ، هذا تاريخ
 المغامرات ، المغامرات السياسية ، و المغامرات المدنية ،
 و المغامرات العلمية ، دائماً غلبت القيمة على القامة .

فالقضية قضية القيمة ليست قضية القامة ، فكان
 المسلمون فى المدينة المنورة صفاراً و قليلين فى القامة ،
 و لكنهم كانوا كبيرين شامخين فى القيمة ، و العبرة
 بالقيمة لا بالقامة .

فيا إخوانى ! أقول لكم إننى كلما مررت بهذه الآية
 الكريمة على كثرة مرورى و مرور كل مسلم بها عند التلاوة
 - و الحمد لله كلهم تقرأون القرآن ، و قد تقرأونه أكثر
 منى - و لكننى أقول لكم بصراحة ، ولا أجاملكم
 ولا أتملق ، ولا أظاهر بالعاطفة الإيمانية و الإجلال

القرآنى ، أقول لكم بكل إخلاص و بكل صراحة ، إني
 كلما مررت بهذه الآية الكريمة دمشت ، و قلت :
 يا سبحان الله ! إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض
 و فساد كبير ، أيها المسلمون المهدودون بالمآت إن لم
 تقوموا بالدعوة الإيمانية ، إن لم تقوموا بدعوة التوحيد ،
 إن لم تقوموا بالدعوة إلى العبودية الخالصة لله تبارك
 و تعالى ، و الخضوع لحكمه ، و إنه لا خالق غيره ،
 و لارب غيره ، و لامعبود غيره ، و لا حاكم غيره ،
 و لا قوى غيره ، إن لم تقوموا بهذه الدعوة ، تعرفون ماذا
 ستكون عاقبة الإنسانية ؟ .

تكون عاقبة الإنسانية وخيمة ، ذميمة ، شنيعة ،
 هنا فى الدنيا التناحر ، تناحر أفراد البشرية ، يتناحرون
 و يتقاتلون ، يقتل بعضهم بعضاً ، و يسفكون الدماء ،
 و يرتعون فى الشهوات ، و يعبدون النفس ، و يعبدون
 الهوى ، و يتدعون طرائق للظلم و الإهانة و الاستبداد
 و القهر ، هذا سيكون مصير الإنسانية أن لم تقوموا أتم

بالواجب وبما أسعدكم الله به و فرضه عليكم ، فأنا أقول لكم
 إن هذه المراكز الدعوية و التربوية مع إجلالى و معرفتى لقيمتها
 و لثامها و لفائدتها ، إنما فى الحقيقة قطرة فى البحر ،
 ما نسبتها إلى هذا البحر الزاخر المائج الهائج ، الذى يزخر
 هنا فى أوربا ، و من هنا تمتد أمواج هذا البحر و عواصف
 هذا القطر إلى العالم الخارجى ، ما هى الاشتراكية ؟ ما هى
 الرأسمالية ؟ ما هى الشهوانية ؟ ما هى عبادة النفس ؟ ما هو
 استعباد الانسان للانسان ، كلها عواصف هوجاء ، و رياح
 مشثومة ، رياح تقضى على البقية الباقية من الشعور الإنسانى ،
 و المبادئ الفاضلة ، و القيم الانسانية ، فهنا بحر موج من
 المادية ، و هذا البحر من ورائه و معه ثروة زاخرة ،
 و مدد كبير من الرقى الثقافى ، و تقدم كبير فى مراكز الطبع
 و آلات النشر و الإذاعة ، هذه أوربا كلها غنية فى كل
 ما يستطيع أن يصلح الانسان ، و يستطيع أن يفيد الانسان ،
 ولكنها تحولت و اتجهت لسوء قيادة الموجهين و المرين ،
 و للمركة الحاسمة و الحرب الشعواء التى وقعت بين الكنيسة

و الدولة ، و بين العلم و الدين (١) أتجهت إلى الإفساد
 بدل الإصلاح ، إلى نشر عبادة النفس ، و الاندفاع وراء
 الشهوات اندفاعاً أهوج ، اندفاعاً متحمساً متهوراً ، فأصبحت
 أوروبا تملك زمام العالم ، و ترتفع راياتها على الشرق الإسلامي
 من أقصاه إلى أقصاه ، و كانت هناك إمبراطورية سياسية ،
 و امبراطورية فكرية ، و كان استعماراً سياسياً ، و استعماراً
 ثقافياً ، و استعماراً فكرياً ، و استعماراً خلقياً ، و استعماراً
 توجيبياً .

إن الله سبحانه و تعالى قد مكن لهذه الحفنة البشرية
 التي وجدت و تكونت في المدينة المنورة بفضل تعاليم الإسلام ،
 من انتزاع السلطة — إذا صح هذا التعبير — و السيطرة
 على النفوس ، من جماعة إلى جماعة ، و من أمة إلى أمة ،
 لا لمآرب النفس ، ولا للشهوات ، ولا للأغراض الخسيسة
 الفردية أو السيادة العنصرية أو القومية ، و لكن لصالح
 الإنسانية ، مكن الله لهذه الحفنة البشرية أن تظهر و تغلب ،

(١) يرجع للاطلاع عليه إلى كتاب درابر Drapper المشهور
 (Conflict Between Religion And Science)

« الصراع بين الدين و العلم » .

و تملك زمام القيادة ، زمام القيادة العقائدية ، زمام القيادة الخلقية ، زمام القيادة الفكرية، زمام القيادة العملية ، و زمام القيادة السياسية كذلك، قد مكن الله هذه الحفنة البشرية في القرن الأول في عصر النبي ﷺ و في عصر الخلفاء الراشدين حتى فتحوا الامبراطورية البازنطية و وصلوا إلى قسطنطينية في عصر محمد الفاتح .

و كذلك امتلكوا الامبراطورية الفارسية الساسانية ، إذا قال إنسان: إن هذه الامبراطورية ستزول، رأى الناس إليه عجباً و دهشة و استغراباً ، و ظنوا بعقله سوءاً ، ما كان يتصور ذلك ، و لكن كل ذلك وقع لارادة الله سبحانه و تعالى .

فالذي نحتاج إليه ، و الذي جرت به سنة الله تبارك و تعالى في تاريخ الديانات، و في تاريخ الحركات الإصلاحية حتى في النبوات ، هو أن تقوم قلة مهما بلغت من ضآلة العدد و العدد، تقوم باخلاص و بعزم ، و بوعى ، و بعقل ، و بحكمة ، و بتعاون ، و بتجريد النية لخدمة الدين فقط ، هنالك ينزل الله نصره ، و قد جاءت في القرآن الكريم تصريحات كثيرة بأن الله سبحانه و تعالى ينصر الضعيف على القوى ،

و ينصر القليل على الكثير ، جاءت في هذا المعنى آيات ،
فيقول الله :

« يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت
أقدامكم ، (١) .

و يقول :

« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله
مع الصابرين ، (٢) .

فالمهم الآن أن تقوم منظمة و تقوم جماعة مؤمنة ،
جماعة صاحبة دعوة ، صاحبة مبدأ ، صاحبة غاية ، تقوم
باخلاص ، و بإيمان ، و بحماس ، و بتعاون ، و باتحاد ،
و بتجريد النية و القلوب من حب الدنيا و من حب
الرياسة ، و من التنافس في القيادات و العظمة ، هنالك
ينصر الله سبحانه و تعالى ، و أتجراً و أقول لكم — و استغفر
الله ربي ، و أعود به — و أقول (إلا تفعلوه تكن فتنة
في الأرض و فساد كبير) أيها المسلمون في أوروبا ، أيها
المسلمون في أمريكا ، أيها المسلمون في إنجلترا ، و أشجع

(١) سورة محمد آية ٧ . (٢) سورة البقرة آية ٢٤٩ .

و أقول أيها المسلمون في البلاد العربية ، التي يحارب في كثير من بقاعها الإسلام ، و يتخوف من الإسلام ما لا يتخوف من الشيوعية ، وما لا يتخوف من الصهيونية ، وما لا يتخوف من المسيحية الصليبية ، وما لا يتخوف من فساد المجتمع ، و انهيار المبادئ الخلقية و القيم المعنوية ، يتخوف من الإسلام أكثر مما يتخوف من أى شئ ، أقول لكم أيها الاخوان (إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض و فساد كبير) الآن هنالك حرب واحدة تشن الآن و تقوم ، و هى الحرب بين الإسلام و بين اللإسلام ، و بين عبادة الله و بين عبادة النفس ، و بين التعاليم الإسلامية و بين تقديس القيم الغربية ، و إحلالها محل تعاليم الكتب السماوية ، هذه هى الحرب الوحيدة القائمة الآن و هى حرب مسجورة مسجورة .

هذه كلمتى التى حضرتنى الآن ، و أدعو الله سبحانه و تعالى أن يمنحنا من قوة الارادة و حسن النية و الاخلاص و العزم حتى نقوم بنشر الإسلام فى هذه القارة التى أفسدت العالم كله زمناً طويلاً ، و التى لا تزال لها سلطة كبيرة فى

إفساد المسؤولين عن المعارف و التربية و المسؤولين عن الثقافة ، و المسؤولين عن الجامعات و الكليات ، فلا يزال لها أثر في ربوعنا الشرقية ، في مناطقنا ، و في بلادنا الشرقية بما فيها البلاد العربية .

و نختتم هذه الكلمة بترجمة أبيات لشاعر الاسلام الدكتور محمد إقبال الفارسية مقتطفة من كتابي «روائع إقبال» يقول محمد إقبال مخاطباً للمسلم :

أيها المسلم ! أنت للناموس الأزلي حارس و أمين ،
ولسيد هذا الكون يسار و يمين (١) لقد كانت نشأتك من
التراب ، و لكن بك قوام العالم و بقاء الأمم ، اشرب
كأساً فائضة من اليقين ، و انهض من حضيض الظن
و التخمين ، انقبه من السبات العميق الذي طال أمده ،
و اشتدت وطأته .

الغياث من الأفرنج الذين خلبوا العقول و سحروا
النفوس ، الغياث من هؤلاء الذين خدعوا مرة بالرقعة
و الدلال ، و مرة بالقيود و الأغلال ، تارة مثلوا دور

(١) يعني أنه آلة بيد القدرة الالهية ، و جارحة لها .

« شيرين ، و طوراً لعبوا دور « أبرويز ، (١) لقد أصبح
العالم كله خراباً يباباً بإغارتهم و غزوم .

يا باني الحرم ا و يا خليفة إبراهيم ! انهض لبناء
العالم من جديد، انتبه من السبات العميق الذي طال أمده،
و أشدت وطأته (٢) .

و نسأل الله أن يوفقكم و يوفقنا لنستحق نصر الله
رغم قلة عددنا و عددنا و رغم كثرة عدد هؤلاء المنافسين
للإسلام و أعداء الإنسانية .

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته
أبو الحسن على الحسيني الندوي

(١) يشير إلى قصة غرامية فارسية قديمة تمثل فيها « شيرين ،

دور المرأة الفاتنة التي هام بها الأبطال، و « أبرويز ،
دور الملك القاهر الذي عشقها و استأثر بها .

(٢) زبور عجم ١١٦ — ١١٨ باختصار ، وهي زيادة في

المحاضرة عند نقلها و كتابتها، مقتسبة ، من « رواع

إقبال . .

واجب الجالية الاسلامية في البلاد الغربية و دورها البلاغي و النموذجي

[محاضرة أقيمت في المركز الاسلامي في لندن]

(Islamic Centre Regent Park London)

في ٢٠ / من ربيع الأول سنة ١٤١٣ هـ -

١٨ / من سبتمبر سنة ١٩٩٢ م، بعد المغرب،

ونقلت من الشريط مع تعديلات

و زيادات يسيرة . [

الحمد لله وحده ، و الصلاة و السلام على من

لا نبي بعده .

أما بعد ! سادتي و إخواني ! يحلولى و يسعدنى

أن تكون كلمتي المتواضعة بالعربية ، في هذا الملتقى الجامع

لجنسيات و لغات مختلفة ، و فيه العدد المرموق من

إخواننا العرب .

سادتى ! إن دور المسلمين فى بلاد أجنبية لا يسود فيها الإسلام ، وتسود فيها القيم الغربية و المثل الاجنبية ، و الغاية الرئيسية التى تسود فيها هى الوصول إلى منافع و متع شخصية ، أو جماعية ، أو سياسية ، أو أيقورية (١) استمتاعية ، دور المسلمين فى هذه البلاد — خصوصاً إذا كانوا فى قلة — دور دقيق يستدعى إيماناً قوياً ، و شجاعة بارزة ، و حكمة بالغة ، و قوة ثقة بالرسالة التى شرفهم الله و أكرمهم بها .

و كذلك ينبغى أن يكونوا على مستوى عال غير مصابين بمركب النقص (Inferiority Complex) لانهم إذا لم يكونوا على مستوى عال ، ينظرون إلى أنفسهم و أممتهم نظرة احتقار أو نظرة مقلدين مقتطفين من ثمار هذه الحضارة ، فانه لا يكون دورهم دوراً رائعاً خلافاً ، لافتاً للنظر مسترعياً للانتباه .

(١) الفلسفة المؤمنة باللذة ، و أنها هى الهدف الرئيسى فى الجهود و الأعمال و الأخلاق ، كانت مدرسة خلقية فى يونان .

أضرب لكم مثلاً يحسم لكم هذه المعاني و يمثل دور
المسلم الواثق بكرامته و رسالته ، المستهين بالمظاهر الخلابه ،
المترجم الرائي للتعدين على المظاهر ، العائشين عيشة الجاهلية ،
أقتبس من التاريخ الاسلامى الاول ، فيه موعظة ، و عبرة
و فيه درس لنا .

إن القائد العام للجيوش الفارسية الايرانية الذى كان
يسمى بـ « رستم » الذى كان يعتبر تلو الامبراطور الايراني
ويليه فى نخفخته وعظمته ، ومكاته الاجتماعية ، ترجى من
قائد قواد المسلمين ، سيدنا سعد بن أبى وقاص - رضى الله
عنه - ، أن يرسل إليه رجلاً يستطيع أن يشرح له الفايه
التي ساقته العرب البدو العائشين فى صحراء العرب ، إلى
هذه البلاد المتمدنة الراقية فى الحضارة ، والقوة العسكرية .

تصوروا رجلاً جالساً على كرسى عال من الحكم
والرئاسة ، كيف ينظر إلى العرب البدو العائشين فى الخيام
أو فى بيوت من مدر أو وبر و الذين كان قوتهم إما
التمر و إما لحم الايل ، كيف ينظر إلى هؤلاء نظرة

احتقار ، وعدم مبالاة ، قال أرسل إلينا رجلا منكم ،
يشرح الغاية التي جاء لها العرب ، و كان من معجزات
الاسلام أنه جعل مؤلآء العرب البدو على مستوى موحد
عال من الفكر و العقيدة و الايمان بالله ، و الاعتزاز
بالغاية التي جاء بها الاسلام ، فاختار سعد بن أبي وقاص
— رضى الله تعالى عنه — ربيعى بن عامر (١) لا يعرفه
أحد من علماء التاريخ و السير ، و لم يكن له حديث قبل
هذا ، و لا أحكى لكم هذه القصة كحكاية طريفة فيها متعة
ولذة ، أو مادة للاقتحار القومى أو الجنسى ، إنما أحكى
لكم هذه القصة لتقارنوا بين الايمان القوى الذى دفع إلى
هذا الحديث الجريئى الحر أمام القائد العام للجيش الايرانية ،
و موقف المؤمن بسمو رسالته ، و حاجة البشرية إليها ،

(١) كان من أشرف العرب ، حضر غزوة نهاوند ،

ولاه الأحف على طخارستان ، وكانوا لا يؤمرون

إلا الصحابة (الاصابة فى تمييز الصحابة ، للعلامة

ابن حجر المسقلانى ج ١ ، ص ٥٠٣) .

وقر هذه البلاد وحرمانها منها ، وبين موقفنا هنا في هذه
البلاد ونظرتنا إلى أنفسنا ورسالتنا وواجبنا ، وإلى الحضارة
الغربية التي تمثلها هذه البلاد و تقوم بالدور الرئيسي
القيادي فيها .

جاء ربيعي بن عامر في ثياب صفيقة ، و سيف
وترس وفرس قصيرة ، و لم يزل راكبا حتى داس بها
على طرف البساط الذي كان قد بسط حول رستم ، ثم
نزل و ربطها ببعض تلك الوسائد ، و أقبل وعليه سلاحه
و درعه و بيضته على رأسه ، نهبه بعض الناس و قال له
دع سلاحك ، فقال : « إني لم آتكم و إنما جئتكم حين
دعوتموني ، فان تركتموني هكذا فذاك ، و إلا رجعت ،
فقال رستم إنزلوا له فأقبل يتوكأ على رمح فوق الخمارق
مخرق عامتها .

و دخل على رستم فقال : ما الذي جاء بكم أيها
العرب ؟ فقال بايمان متغلغل في الاحشاء ، و ثقة بالغة
تقوى الأعصاب و تملكها ، لأن ورامها كتاب سماوي ،

ونبوة صادقة ، و عقيدة جازمة ، و همة عالية ، و نظرة
هادية ، « الله اتبعنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى
عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها و من جور
الاديان إلى عدل الاسلام (١) .

سادق و إخواني ! إنني مع إيماني بما قال ربي بن
عامر عن غاية الاسلام و رسالته الأساسية ، و البدائية
و النهائية ، من إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة
الله وحده ، و ما أشار إليه من جور الأديان ، و مع
إجلالي و تقديري له ، فإن كل ذلك كان واقعاً ملموساً
و حقائق راهنة ، و لكنني استغرب قوله « من ضيق
الدنيا إلى سعتها » فلو قال « من ضيق الدنيا إلى سعة
الآخرة » لما ملكني استغراب فإن هذا كان من العقائد
التي يؤمن بها كل مسلم ، فضلاً عن هذا المتحدث في
العصر الاسلامي الأول ، و لكنني أستغرب كل الاستغراب
من قوله « من ضيق الدنيا إلى سعتها » كأنه يقول لم

(١) «البداية و النهاية» لابن كثير ج ٧ ، ص ٣٩-٤٠ .

تخرجنا من جزيرتنا الرحمة و الرثاء لأنفسنا ، و الطمع في خيرات هذه البلاد ، إنما أخرجتنا و ساقتنا إلى هذه البلاد الرحمة بكم ، أردنا بأن ننفذكم من هذا السجن الضيق الصغير المظلم الذى تعيشون فيه ، « كبلبل غريد في قفص يوضع له فيه قوت و ماء ، لماذا ؟ لأنكم عيد العادات ، عيد الحاجات ، عيد الشهوات ، و عيد الموضات (١) لا تستطيعون أن تمشوا وحدكم ، لا تستطيعون أن تتصرفوا في أموركم كما تشامون ، تحتاجون إلى خدم ، تحتاجون إلى مساعدين ، تحتاجون إلى حراس ، تحتاجون إلى الطباخين و الطهاة .

ويشهد التاريخ أن « يزدجرد ، ملك إيران لما خرج هارباً من عاصمته الايرانية ، عطش و دخل في بيت رجل و طلب الماء ، فقدم له الماء في كأس متواضع عادى ، فقال لا أستطع أن أشرب الماء في هذه الكأس ، لأنه كان اعتاد أن يشرب الماء في كأس من ذهب أو فضة ، وكان

(١) أساليب الحياة و مظاهرها (Fashions) .

الايرائيون يعيرون من كان يلبس من صناديدهم منقطة
أوتاجاً قيمتها دون مئة ألف درهم ، أو لا يكون له قصر
شاخ و آبن (١) و حمام و بساتين (٢) .

كأنه يريد أن يقول أتم عيد عييدكم لأنكم تحتاجون
إليهم أكثر مما يحتاجون إليكم ، فنريد أن نخلصكم من هذا
السجن الضيق المظلم ، و ما ساقطنا إليكم حاجتنا إنما ساقطنا
إليكم حاجتكم، و ما ضقنا ذرعاً بالصحراء التي نعيش فيها فانها
مترامية الأطراف واسعة جداً، إنما ضقنا ذرعاً بالوضع الذي
تعيشون فيه ، الوضع المصطنع غير الفطرى و غير الطبيعى
الذى تعيشونه .

أما نحن فلسنا عبيداً لشهواتنا ، لسنا عبيداً لوجباتنا (٣)

(١) فسقية .

(٢) ملتقط من كتاب « حجة الله البالغة » للامام

أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشيخ ولى الله

الدهلوى (م ١١٧٦ هـ) .

(٣) الوجبة : الأكلة الواحدة فى اليوم ج وجبات .

لسنا عيداً للملابسا التي نلبسها ، لسنا عيداً للخدم والحشم ،
 نحن أحرار نتجول في الصحراء و نعيش كما نشاء ، و ناكل
 ما نيسر ، فالله اتبعنا لنخرج من تشاء من عبادة العباد إلى
 عبادة الله وحده ، و من ضيق الدنيا إلى سعتها و من
 جور الأديان إلى عدل الإسلام ، أتم تستهفون لجور
 الأديان و هي التي تذلم و تهينكم و تسومكم سوء العذاب .
 أيها الإخوان ! أريد أن لا أطيل عليكم - فأنتم
 مشغولون و أمامكم واجبات و مسؤوليات - و أقول لكم
 باختصار : إن موقفكم في هذه البلاد يجب أن يكون موقف
 الأحرار ، موقفاً مبدئياً دعواً مثالياً ، يلفت النظر ويسترعى
 الانتباه ، و يثير تساؤلات و مقارنات ، و رغبة في
 المعرفة و الفحص و التحقيق ، أما إذا تنزلتم إلى المستوى
 المغربي و الحياة الغربية السائدة مهما فقم و تميزتم في هذا
 التشابه و التقليد ، فإن ذلك لا يثير تأملاً و تساؤلاً ،
 و لا إجلالاً و احتراماً ، فضلاً عن تأس و تقليد ،
 و إجلال و تمجيد ، أما إذا قدمتم إليهم مثالا غير مألوف

مثالاً يشير فيهما الدهشة، نظروا إليكم وستلوكم، ما هو المنبع
الذي استقيتم منه هذا النظم من الحياة و هذه المثل والقم
السليمة الفاضلة، ويرغبون في أن تقدموا إليهم كتباً تشرح
الإسلام وتشرح لهم سيرة محمد - عليه الصلاة والسلام -
تشرح لهم الطريق التي انتهت بالمسلمين إلى هذا المستوى
العالي والمكان السامى ، ينظرون إليكم كأنهم ينظرون إلى
قمة جبل .

فقدموا أيها الإخوان المسلمون العائشون في هذه
البلاد - مؤقتاً، أو تجنستم بالجنسية الغربية - نموذجاً طريفاً
من الحياة يشير فيهم الطمع في دراسة الإسلام و معرفة
المسلك الذى ومهم هذا الطراز من الحياة ، و هذا المنهج
من التفكير، فهذا هو الدور الفريد الذى يستطيع المسلمون
أن يمثلوه في هذه البلاد ، أما إذا كان الأسلوب واحداً
و كانت الحياة متشابهة مطردة في العالم الغربى ، أو في شبه
القارة الهندية ، أو في أفريقية و في أى بلد من بلاد الدنيا،

فان ذلك لا يسترعى الانتباه أبداً و إن عاشوا هناك مائة
سنة أو أكثر .

و أشكركم على حسن الاستماع ، و اعتذر إليكم إذا
كانت في كفتي هذه صراحة زائدة ، فما دفعني إلى ذلك ولا
حلتني عليه إلا حب الجالية الإسلامية في هذه البلاد و معرفة
قيمتها و أهمية دورها البلاغي و النموذجي في هذه البلاد
و معرفة دور هذه البلاد القيادي و التوجيهي المادي في
الماضي ، و ما تستطيع أن تقوم به من دور قيادي بناء مفيد
للإنسانية ، إذا أراد الله بها خيراً و شرفها بالهداية
و التوفيق .

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته .



صدر حديثاً :

العلامة أبو الحسن النبوي

في مرآة كتاباته ومحاضراته

كلمة وفاء

بقلم :

الأستاذ الكبير أنور الجندی

ملتزم النشر و التوزيع

دار عرفات للترجمة ، و النشر و التوزيع

دارة الشيخ علم الله ، راني بريلي (الهند)